د. محمد بن لطفي الصباغ

# أم سليم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أُمّ سُلَيْم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نسخة معدلة

# أم سليم

الأحاديث
٦ - ٨ - ١٤ - ١٦ - ١٨ - ٥٠ - ٥٥
٥٥ - ٥٦ - ٥٩ -

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بيروت: ص.ب ٣٧٧١ - ١١ هاتف ٤٥٠٦٣٨ برقياً (اسلاميا)
دمشق: ص. ب ٨٠٠ هاتف ١١١٦٣٧ برقياً (اسلامي)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت أُمُّ سُلَيْمٍ فتاةً مِنْ فَتَيَاتِ آل النجَّار تمتلئُ أنوثةً ورَشَاقَةً وجمالاً، وتزينُها رزانةٌ وحَصَافةٌ وسدادُ رَأيٍ، وتتحلّى بالخُلُقِ الزكيِّ والطبْعِ الرضيِّ.

حتّى غَدَتْ حديثَ يَثْرِب قاطبةً، يُشَارُ إليها بالبنانِ، ويُثني عليها كلُّ لسان. وكانَ للبيتِ الذي نَشَأَتْ فيه هذهِ الفتاةُ ذكرٌ عطرٌ في أوساطِ المدينةِ، وسمعةٌ كريمةٌ لَدَى النّاس.

كان بيتُها يضمُّ أباً مِنْ أفاضل آل النجّارِ وهو ملحانُ مالكُ بنُ خالدٍ، وأمّا هي مُلَيْكَةُ بنتُ مالكٍ[1]

---

(١) انظر «فتح الباري» ١/٤٨٩ فقد رجّح أن اسم جدة أنس أي والدة أم سليم مليكة وسرد أدلته. وانظر أيضاً «شرح صحيح مسلم» للنووي ٥/١٦٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من كرامِ آلِ النجَّار أيضاً وولدينِ ذكرينِ هما: سُلَيْمٌ وحرامٌ، وفتاتينِ هما: أمُّ سُلَيْمٍ[1] وأمُّ حرامٍ.

وكانَ لهؤلاءِ الأولادِ الأربعةِ ذكرٌ في التاريخِ لا تستطيعُ ذاكرةُ التاريخِ نسيانَهُ... لقد كانوا جميعاً مثالَ النُّبْلِ والاستقامةِ، والبذلِ والتضحيةِ، والصدقِ والوفاءِ للقيمِ والمُثلِ. وكان هذا البيت يعيشُ حياةً سعيدةً كأفضلِ ما تعيشُ أسرةٌ في يثرب.

★ ★ ★

وكانتْ يثربُ عالماً قائماً بذاته، تشاركُ مُدُنَ الجزيرةِ مشاركةً ما، ولكنّها تنفردُ عنها بخصائصَ مميزةٍ، تتيهُ على حواضيرِ الحجازِ بمياهِها وبساتينِها

---

(١) اختلف في اسم أم سليم، وقد شهرت بكنيتها، وقد جاء في «صحيح مسلم» عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت الجنة فسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغُمَيْصَاء بنت ملحان أم أنس بن مالك». انظر «شرح صحيح مسلم» ١١/١٦ فهذا دليل على أن اسمها الغميصاء. وأورد ابن حجر في «الفتح» ٤٨٩/١ أقوالاً في اسم أم سليم. وما ذكرناه هو الراجح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونخيلها وتمرها، ونمتْ فيها تَبَعاً لذلك بعضُ المعارفِ والفنونِ والمهاراتِ التي تقتضيها البيئةُ.

وينبثقُ نورُ النبوّةِ في بطحاءِ مكّةَ، فتضيءُ به جوانبُ الأُفُقِ في أرجاءِ الجزيرة. وتنطلقُ دعوةُ التوحيدِ من غارِ حراءٍ على لسانِ أعظمِ رجالاتِ الدنيا في عصورِها كلِّها - وإلى أن تقومَ الساعةُ - سيِّدِ الأنبياءِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ الهاشميِّ القرشيِّ المكيِّ الأمِّي.

ويتسامعُ الناسُ بنبأ هذهِ الدعوةِ، فيهزُّهم هَزّاً ويجعلُهم يتلهّفونَ إلى معرفةِ خبرِها واستجلاءِ حقيقتِها.

ويتسابقُ نفرٌ من أبناءِ يثربَ خاصةً إلى مكّةَ يتحققونَ بأنفسِهم الأمرَ مِنْ صاحب الدعوةِ. ذلكَ لأنَّ مجتمعَ يثربَ - كما أسلفنا - مجتمعٌ مُتَمَيِّز فلم يكنْ خالصاً للعربِ الوثنيينَ المشركينَ، بَلْ كانَ فيهِ عنصرٌ غريبٌ وهُوَ فريقٌ مِنْ أهلِ الكتابِ من يهود. وكان بينَ العربِ المشركين واليهودِ الكتابيين جدالٌ وتنافسٌ قد يصلُ إلى الخصامِ والصدامِ. واستطاعتْ يهودُ بمكرِها أنْ تضمنَ لنفسِها في مجتمعِ يثربَ مكاناً مرعيّاً عندما



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أذكتْ نارَ العداوةِ والبغضاءِ بينَ العربِ المشركينَ المقيمينَ في هذهِ المدينةِ... حتّى قامتِ الحروبُ الطاحنةُ بينَ الأوسِ والخزرجِ. وتحقّقَ لليهودِ التوازنُ الذي يجعلُهم في يثربَ شَيئاً مذكوراً... وكان اليهودُ يقصّونَ على العربِ شيئاً ممّا في كتابهم من أنّهُ سيظهرُ نبيٌّ مصدِّقٌ لما معهم مِنَ الكتابِ، وكانوا يقولونَ: إنّ وقتَ ظهورِه قد اقتربَ في هذهِ الآونةِ، وكانوا يستفتحونَ عليهم بهذا النبيِّ الذي سيؤيدهم على العربِ، ويجعل لهم الغلبةَ إلى آخرِ الدهرِ وذلك قولُه تعالى: ﴿ولمّا جَاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لما مَعَهُمْ وكانُوا مِنْ قبلُ يستفتحونَ على الذينَ كَفَرُوا فلمَّا جَاءَهُم ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فلعنةُ اللهِ على الكافرينَ﴾[1].

جَعَلَ هذا الجوُّ أذهانَ أهلِ يثربَ مستعدّةً لتتبُّعِ أنباءِ الدّعوةِ واستجلاءِ حقيقتِها والبحثِ عنها وتلقّيها بالقَبُولِ أكثرَ من أيّ ناسٍ آخرين.

★ ★ ★

(١) سورة البقرة الآية (٨٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودخلَ الإسلامُ المدينةَ، فسارعَ أهلُ العقلِ الراجحِ والفطرةِ الصافيةِ والقلبِ الحيِّ من أهلِها إلى الدخولِ فيه.

واتّجهَ نفرٌ آخَرُ إلى مكةَ أيامَ الحجّ يتصلونَ بصاحبِ هذهِ الدعوةِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ ويسألونَهُ ويُجيبهم... ويَدْعُونَهُ إلى بَلدِهم ويُبَايعُونَهُ... مِمَّا تعرفُ خبرَهُ في كُتُبِ السيرةِ.

★ ★ ★

وكان الاقترانُ بالفتاةِ الجميلةِ العاقلةِ الحصيفةِ أُمِّ سُلَيْم أمَلاً يُراودُ عدداً من الشبابِ، وقد فازَ بهذهِ الأُمنيَّةِ مالكُ بنُ النضرِ في الجاهليةِ، فعاشَ معها عيشةً سعيدةً ووَلَدتْ له أنساً في الجاهليةِ.

وليسَ مِنْ شكٍّ في أنَّ المَعْدِنَ الكريمَ والصفاتِ الفاضلةَ التي كانتْ تتحلّى بها نفسُها الكبيرةُ قد تركتْ أعظمَ الأثرِ في ابنِها وكلِّ مَنْ تلْقى.

والناسُ - كما يقول سيدُنا رسولُ اللهِ ﷺ - معادنُ خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فَقُهُوا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويبدو أنَّ المعدِن الأصيلَ الكريمَ الخيِّرَ الذي كان في أُمِّ سُلَيْم هو الذي قادَهَا إلى الإسلامِ فأسلمتْ مَعَ السابقينَ إلى الإسلامِ من الأنصارِ.

لقد كانتْ ذاتَ شخصيةٍ كبيرةٍ، وعقليةٍ ضخمةٍ، وتفكيرٍ حرٍّ مستقلٍّ... رأتِ الحقَّ في الإسلامِ فلم تتردَّدْ في الدخولِ فيه، ولم تُبَالِ بما يمكنُ أنْ يلقاهُ مَنْ يدخلُ في الإسلام في مجتمعٍ وثنيٍّ جاهليٍّ.

وكانَ من أوائلِ من خاصَمَها في ذلك زوجُها مالكٌ، فغضبَ وثارَ، وهاجَ وماجَ، ولكنّها أفهمتْهُ أنَّ الإسلامَ عندها قضيةُ حياةٍ، فهي لا تستطيعُ أن تحيا إلاّ مسلمةً، وهي تكرهُ أن تعودَ في الكفرِ بعد أنْ أنقَذَها اللهُ منهُ كما تكرهُ أنْ تلقى في النارِ... إنها ذاقتْ حلاوةَ الإيمانِ... فما كان لها أن تعدلَ بهذه الحلاوةِ شيئاً آخرَ.

إزاءَ هذا الموقفِ الصُّلْبِ، والصمودِ في العقيدةِ لم يجدْ زوجُها مالكُ بنُ النضرِ أَمَامَهُ إلاّ أن يُغادرَ المدينةَ، فخرجَ إلى الشامِ مغاضباً... وماتَ بها.

★ ★ ★



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعاشتْ أُمُّ سُلَيْم مع ابنِها أنسِ بنِ مالكٍ في يثربَ، معتزَّةً بدينها الجديدِ... ملتزمةً أحكامَهُ، داعيةً إليهِ ما استطاعتْ إلى ذلكَ سبيلاً، وكانتْ عازمةً على ألا تتزوجَ حتى يبلغَ أنسٌ ويُصبحَ رَجُلاً.

وكانت صلتُها مَعْ أخويها سُلَيْمٍ وحَرامٍ ومَعَ أختِها أُمِّ حرامٍ صلةَ وُدٍّ في الدين وتسابقٍ في الخيرِ وصِلةَ رحمٍ ودمٍ ونسبٍ.

والحقُّ أنَّ هذهِ الأسرةَ الكريمةَ كُلّها أسرةٌ قامتْ على الاستقامةِ والخيرِ والثباتِ على الحقِّ والوفاءِ للمُثُلِ... بل نستطيعُ أن ندعوَها أسرةَ الاستشهادِ في سبيلِ اللهِ ونشرِ دينه.

★ ★ ★

ويتقدّمُ لِخِطْبَةِ أُمِّ سُلَيْمٍ أبو طَلْحَةَ قَبْلَ أن يُسلِمَ ولكنّها قالتْ: لا أتزوجُ حتّى يبلغَ أنسٌ، ويجلسَ في المجالس فيقول: جزى اللهُ أُمّي عنّي خيراً لَقَدْ أحسنتْ ولِابني.

فقال لها أبو طلحة: فَقَدْ جَلَسَ أنسٌ وتكلّم.



أخرجه ابن ق ٦/١١٤ عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم. فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنه كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، ما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك صداقها. قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم صداقاً من أم سليم: الإسلام، فدخل بها، فولدت له. وانظر طبقات ابن سعد ٨/٤٦٢ وانظر الفتح ٨/١١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(وكأنّه يحملُها على عدمِ اشتراطِ البلوغِ).

فقالت له أم سُلَيْم: إنّي قد آمنتُ بهذا الرجلِ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ، وشهدتُ بأنّهُ رسولُ اللهِ وأنتَ مشركٌ، فليسَ هناكَ سبيلٌ إلى الموافقةِ. وألحَّ أبو طلحةَ في الطلب، ويبدو أنّهُ يتمتعُ بمزايا جيدةٍ لولا كُفْرُه.

فقالتْ أُمُّ سُلَيْم: يا أبا طلحةَ ألستَ تعلمُ أنّ إلهكَ الذي تعبُد نَبَتَ مِنَ الأرضِ؟

قال: بَلَى.

قالت: أفَلا تستحي أنْ تَعْبُدَ شجرةً؟ إنّي أدْعُوكَ إلى الإسْلامِ إنْ أسلمتَ فإنّي لا أريدُ مِنْكَ صَدَاقاً غَيْرَهُ.

قال: دَعيني حتّى أنظرَ في أمري.

وذهبَ يُفكّر ملياً فيما قالتْ أُمُّ سُلَيْم، وينظرُ في أمرِهِ، واستغرقَ في هذا التفكيرِ والنظرِ أياماً حتّى كأنما هُوَ في عالمٍ آخر.

وانتهى إلى أمرِ فَصْلٍ، وقادَهُ تفكيرُهُ ونظرُهُ إلى خَيْرَي الدُّنْيا والآخرةِ.

ثم جاءَ إلى أُمّ سُلَيْمٍ فقالَ:



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ.

فقالت أُمُّ سُلَيْمٍ: يا أنسُ! زَوِّجْ أبا طلحةَ فَزَوَّجَهَا وكان صداقُها الإسلامَ.

وعاشت أُم سُلَيْم مع أبي طلحةَ حياةً ملؤُها السعادةُ والتزامُ الدين.

كانت حياتُهما تقومُ على المعاني الإسلاميةِ التي تضمنُ للزوجينِ الحياةَ الهادئةَ الهنيئةَ السعيدةَ المنتجة البنّاءَةَ.

وكانت أُم سُلَيْم زوجةً صالحةً تقومُ بحقوقِ الزوجِ أحسنَ قيامٍ، وترضى بالقليلِ، كانَت ذاتَ نُصْحٍ صادقٍ، وعفّةٍ بالغةٍ، وطاعةٍ للزوج بالمعروفِ، وكانتْ تذكِّرُهُ باللهِ بلسانها، وتدعوهُ بسلوكِها إلى التزامِ أحكامِ شرعِ اللهِ، والصبرِ في مواجهةِ كوارثِ الحياةِ، والتسليمِ بقضاءِ اللهِ وقدرِهِ...

أجل لَقَدْ كانتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مثالَ الزوجةِ الصالحةِ، والأمِّ الرؤومِ، والمربيةِ الفاضلةِ والدَّاعيةِ الموفقةِ.

وكان بَيْنَهُما تعاونٌ بنّاءٌ وتجاوبٌ مثمرٌ.

★ ★ ★



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويكرمُ اللهُ هذين الزوجين بولدٍ ذكر فَرِحَا لقدومِهِ أعظمَ الفرح ، واحتفيَا بهِ احتفاءً كبيراً ، وعندما دَرَجَ في مرابعِ الطفولةِ العذبةِ كانَ قُرَّةَ عينٍ لهما ، يَأنَسَانِ بهِ وبحركاتهِ ، ويستعذبانِ حديثَه الحلوَ ، وقد سمّياه أبا عمير . وكانَ مرةً قد اتخذ طائراً يلعبُ به ، فمات ، فَحَزِنَ عليهِ ، وكان يبكي عليه أحرَّ البكاءِ ، فواساهُ الرسولُ مداعباً قائلاً : « يا أبا عُمَيْر ما فعلَ النغيرُ؟ »[1] .

يريدُ ﷺ ملاطفتَهُ ومؤانستَهُ .

★ ★ ★

ومرض أبو عُمير ، فدخل على الأسرةِ همٌّ كبيرٌ ، وأصبحَ الاهتمامُ به ورعايتُه وتمريضُه شُغْلَ الأبوينِ المتعلّقين بالطفلِ الجميلِ المحبوبِ .

وكان أبوهُ إذا عادَ من السوقِ بَعْدَ غيبةٍ يسيرةٍ يُواجهُ أهلَ الدارِ بَعْدَ السلامِ سائلاً عن صحةِ ابنهِ أوَّلَ

---

(١) رواه البخاري ومسلم وانظر شرحه في فتح الباري ١٠/٥٨٣ ، وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأخرجه أحمد في المسند.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما يدخلُ، ولا يطمئنُّ حتّى يراه، ويغمرُه بسيلٍ من نظراتِ الحبِّ والحنانِ ولم يكنْ لأهلِ الدارِ من عملٍ إلا رعايةُ هذا الطفلِ المريضِ.

وخرج أبو طلحةَ مرةً إلى المسجدِ، فقُبضَ الصبيُّ... وتلقّتْ أُمُّهُ الحادثَ الأليمَ بنفسٍ راضيةٍ طيبةٍ وسجَّتْه في فراشه. وقالت:

إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون.

ورُبَّما تكونُ ودَّعَتْهُ بدمعةٍ صامتةٍ لم يحسَّ بوقعها إلاّ من كان يراها.

وقالت لأهلها: لا تحدِّثُوا أبا طلحة بابنهِ حتى أكونَ أنا أُحدّثُهُ.

فلما رَجَعَ أبو طلحةَ سارعَ إلى سؤاله المعتاد: ما فَعَلَ ابني؟

وسكتَ أهلُ الدارِ وَفْقاً لوصيَّةِ أُمِّ سُلَيْم وبادرتْ هِيَ وقالتْ:

هُوَ أسكنُ ما كانَ.

فظنَّ أنّه عُوفي، وفَرِحَ لسكونه وراحتهِ واسترساله في نومٍ هادئٍ لذيذٍ، ولم يَدْنُ منه لِكيْلا يُعكِّر عليه



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سكونَهُ ثم قرّبتْ إليه عَشَاءً فأكَلَ وشَرِبَ، ثم تصنّعتْ له أحسنَ ما كانت تَصنَعُ قَبْلَ ذلكَ، ولَبستْ أجملَ ثيابِها وتزيَّنَتْ أكملَ الزينةِ وتطيّبتْ... وأَوَيا إلى غرفتِهما ووقع بها.

فلما أنْ رأتْ أنّهُ قَدْ شَبِعَ وأصابَ مِنها وهدأتْ نفسُه على وَلَدِهِ حَمِدَت اللهَ على أنّها لم تَفْجَعْهُ ولم تُرَوِّعْهُ وتَركَتْهُ ليغطّ في نومٍ عميق.

فلما كانَ من آخرِ الليلِ قالتْ:

يا أبا طلحةَ! أرأيتَ لو أنَّ قوماً أعارُوا عاريّتَهم أهلَ بيتٍ فطلبُوا عاريَّتهم... أَلَهُم أن يمنعوهم؟.

قال: لا.

قالت: فما تقولُ إذا شَقَّ عليهم أن تُطْلَبَ هذه العاريّةُ منهم بعد أن انتفعوا منها؟.

قال: ما أنصفوا.

قالت: فإنّ ابنكَ فلاناً كانَ عاريَّةً من اللهِ فقبضَهُ، فاحتسب ابنَكَ، فلم يستطعْ أبو طلحةَ أن يتمالكَ أعصابَهُ وهو من الأشدَّاءِ المعروفينَ، الأبطالِ الرُّماةِ



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المتقنينَ، وهو الذي قَتَلَ يَوْمَ حُنينٍ عشرينَ رجلاً. وكادَ الحزنُ يخنقُهُ على وحيدِهِ وقُرَّةِ عينه... وَغَضِبَ ثم قالَ:

تركتِني حتّى إذا تلطّختُ أخبرتِني بابني؟.

فما زالتْ تُذكِّرُهُ حتّى استرجَع وحَمِدَ اللهَ وهدأتْ نفسُه.

ولما أصبح انطلقَ حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَهُ بما كانَ. فقالَ رسولُ الله ﷺ:

«بارَكَ اللهُ في ليلتكما».

وعادَ فجهَّز الغلامَ وغَسلهُ وصلّى عليهِ ودَفَنه.

وكانتْ أمُّ سُلَيْمٍ مثالَ الأمِّ الثّكْلَى الصابرةِ وحملتْ من ليلتِها... واستبشرتْ هي وزوجُها بدعاءِ رسول الله ﷺ لهما بالبركةِ.

★ ★ ★

يخرجُ الرسولُ ﷺ في غزوةِ حُنَيْنٍ ويخرجُ مَعَهُ أبو طلحةَ مصطحباً زوجَهُ أمَّ سُلَيْم فشهدتْ حُنيناً، ورأتْ زوجَها يُبْلي البلاءَ الحسن.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعاد الجيشُ مظفّراً منتصراً بقيادةِ رسول الله ﷺ بعد أنْ أخَذَ دَرْساً في هذه الغزوةِ ونزل في ذلك قرآنٌ ﴿ويومَ حنينٍ إذْ أعجبتكُم كَثْرتُكُمْ فلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وضاقَت عليكُمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ ثُمَّ ولّيتُمْ مُدْبرينَ. ثُمَّ أنزلَ اللهُ سكِينَتَهُ على رسولِهِ وعلى المؤمنينِ، وأنزلَ جُنُوداً لم تَرَوْها، وعذّبَ الذينَ كَفَروا وذَلكَ جزاءُ الكافرينَ. ثُمَّ يتوبُ اللهُ مِنْ بعدِ ذلكَ على من يشاءُ واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾[1].

ولقد كانَ لأُمّ سُلَيْمٍ يَوْمَ حُنينٍ موقفٌ بطوليٌّ عظيمٌ، فهي لم تذهب لمرافقةِ زوجها فقط ولكنّها ذهبتْ وهي حُبْلَى في الشهر الأخير لتقرَّ عينُها برؤيةِ جندِ اللهِ منتصرةً وكلمةِ الله مرتفعةً ولتُذكي نارَ الحماسةِ في صدورِ المؤمنينَ. وقد كانتْ مستعدّةً للدفاعِ ومواجهةِ مَنْ يتعرّضُ لَها، فقد أخرجَ مسلمٌ وابن سعدٍ بسندٍ صحيحٍ أنّ أُمَّ سُلَيْم اتخذتْ خِنْجراً يَوْمَ حُنَيْنٍ.

فقال أبو طلحة: يا رسولَ اللهِ هذه أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَها خِنْجَرٌ.

---

(١) سورة التوبة، الآيات ٢٥ ـ ٢٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالتْ: اتخذتُه إنْ دَنَا منّي أحدٌ مِنَ المشركينَ بقرْتُ بَطْنَهُ. فجعل رسولُ الله ﷺ يضحك. وعندما دَنَا الجيشُ من المدينة عَسْكَر رسولُ الله ﷺ، لأنّهُ كانَ إذا أتى المدينةَ من سَفَرٍ لا يطرقُها ليلاً.

وهُنَاكَ... وعندما انبلجَ الفجرُ ضَرَبَها المخاضُ فاحتبسَ عليها أبو طلحة، وانطلقَ رسولُ الله ﷺ بالجيشِ.

فحزَّ في نفسِ أبي طلحةَ ألاّ يفوزُ بشرفِ مرافقةِ رسول الله ﷺ في دخوله المدينة، فقالَ يناجي ربه:

إنّكَ تعلمُ يا ربِّ أنّهُ يُعجبُني أن أخرُجَ مع رسول الله ﷺ إذا خرجَ وأدْخُلَ مَعَهُ إذا دَخَلَ، وقد احتبستُ بما ترى.

تقولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يا أبا طلحةَ ما أجدُ الذي كنتُ أجدُ من المخاض. قُمْ فانطلقْ.

فانطلقَ مع رسولِ اللهِ ﷺ ولم يَفُتْهُ شرفُ الصُّحْبةِ، وعادَ مَعَهُ كما خَرَجَ مَعَهُ.

وعندما قَدِمَا المدينةَ، واستقرَّا في بيتِهما ضَرَبَها



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المخاضُ من جديدٍ... فولدتْ غلاماً. يا للفرحة الكبرى! عودةٌ من الجهادِ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، ومولودٌ ذكرٌ.

فقالتْ أُمُّ طلحةَ: يا أنسُ! لا يُرضِعْهُ أحدٌ ولا يُحنّكْهُ أحدٌ حتى تَغدُوَ به على رسول اللهِ ﷺ. وأعطتْهُ تَمَراتٍ.

قال أنسٌ: فلما أصبحَ احتملتُه فانطلقتُ به إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخذَهُ النبي ﷺ وقال: أمَعَهُ شيءٌ؟

قلت: نَعَمْ، تمراتٌ.

فأخذَها النبيُّ ﷺ فمضغَها، ثم أخذَها من فيهِ، فجعلَها في في الصبيِّ، ثم حنّكهُ وسمَّاهُ عبدَ الله.

وتدورُ الأيّامُ، وتتحققُ البركةُ التي دَعَا بها رسولُ الله ﷺ لهذا الجنين.

قال رجلٌ من الأنصار: فرأيت تسعةَ أولادٍ من أولادِ عبدِ الله هذا، كُلّهم قد قرؤوا القرآن[1].

★ ★ ★

(١) روايات في البخاري ومسلم وغيرهما.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم تَكُنْ هذه الغزوةُ هي الغزوة الوحيدة التي شاركت فيها أُم سُلَيْم بل روى مسلم في «صحيحه»[1] وغيره عن أنسٍ قال:

كان رسولُ الله ﷺ يغزو بأُم سُلَيم ونسوةٍ من الأنصارِ معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

وقال أنسٌ فيما يرويه البخاري عنه[2]:

ولقد رأيتُ عائشة بنت أبي بكر وأم سُلَيْم وإنهما لمشمرتان أرى خلخال سوقهما تُنَقزَانِ القِرَبَ على مُتُونهما تُفْرِغَانه في أفواهِ القوم، ثم تَرْجعان، فتملآنها، ثم تجيئانِ فَتُفْرِغانِهِ في أفواهِ القومِ.

★ ★ ★

وَمِنْ مواقفها التربويةِ الرائعةِ ما اختارتْهُ لابنها أنسٍ عندما قَدِمَ النبيُّ ﷺ فلقد أخذتْ بيدي أنسٍ وأتتْ به رسولَ الله ﷺ وقالتْ:

---

(١) «شرح مسلم» ١٢/١٨٨.
(٢) «فتح الباري» ٧/١٢٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا رسولَ الله! هذا أنسٌ ابني، يخدمك، وهو غلامٌ كاتبٌ، وكانَ حينئذٍ ابن عشرِ سنين.

فخدمَ النبيَّ ﷺ منذُ قَدِمَ المدينةَ حتى انتقلَ إلى الرفيقِ الأعلى، واشتهرَ أنسٌ بخادمِ النبيِّ ﷺ.

لقد أتاحتْ أم سُلَيْمٍ لابنها أن يكونَ في أعظمِ مدرسةٍ عرفتها الدنيا في مدرسةِ النبوّةِ، فضمنتْ له عزَّ الدُّنيا لأنّهُ كانَ من أكبرِ علماءِ الصحابةِ ومن أكثرِهم روايةً لحديثِ النبيِّ، والفوزَ بصحبةِ رسولِ الله ﷺ، ترجو له النجاةَ يومَ القيامة وقد ذهبتْ أمُّ سُلَيْم مرةً إلى النبيِّ ﷺ فقالتْ:

يا رسولَ اللهِ! خُوَيْدِمُكَ ادْعُ الله له.

فقال ﷺ: «اللهمّ أكثرْ مالَهُ وولَدَهُ وأَطِلْ عُمُرَهُ واغفرْ ذَنْبَهُ».

قال أنسَ: لقدْ دفنتُ من صلبي مائةً غير اثنين[1] وإن ثمرتي لتحملُ في السنةِ مرّتين، ولقد بقيتُ حتى سئمتُ الحياةَ، وأنا أرجو الرابعةَ.

---

(١) أي ٩٨ ولداً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّها التربيةُ الفاضلةُ الصادرةُ عن بُعْدِ نظرٍ وحنان وحرصٍ على الخير.

قال أنس: فخدمتُه في السفرِ والحضر، واللهِ ما قالَ لي لشيء صنعتُه:

لِمَ صنعتَ هَذا هكذا؟

ولا لشيء لَمْ أصنعْهُ:

لِمَ لَمْ تصنعْ هَذا هكذا؟.

★ ★ ★

وكانت شديدة الحبّ لرسولِ اللهِ ﷺ حتى بلغَ من حبّها وتعلقها به أن كانت تجمع عرقه في قارورة لتجعله في طيبها.

روى البخاري ومسلم عن أنس قال:

دخل علينا النبيُّ ﷺ فنام عندنا وقت القيلولة فعرق. وجاءت أمي أم سُلَيْم بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سُلَيْم ما هذا الذي تصنعين؟».

قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطيب... يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا.

★ ★ ★

ومما يدل على عقلها الراجح وإيمانها العميق الراسخ هذه القصة الرائعة التي أخرجها البخاري ومسلم عن أنس:

- قال أبو طلحة لأم سُلَيْم: لقد سمعت صوتَ رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرفُ فيهِ الجوعَ فَهَلْ عندك من شيء؟

- قالت: نعم.

فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسَّتْه[1] تحت يدي، ولاثتني ببعضه[2]، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبتُ به، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد ومعه الناسُ، فقمت عليهم.

- فقال لي رسولُ الله ﷺ: أأرسلك أبو طلحة؟

---

(١) أي أخفته.

(٢) لاثتني أي لفتني. ببعضه: أي ببعض الخمار على رأسي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- فقلت: نعم.
- قال: بطعام؟
- فقلت: نعم.
- فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا. فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته.

فقال أبو طلحة: يا أم سُلَيْم! قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم.

- فقالت: الله ورسولُه أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسولَ الله ﷺ فأقبل رسولُ الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا.

- فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سُلَيْم ما عندك.

فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسولُ الله ﷺ ففُتَّ، وعَصَرت أُمُّ سُلَيْم عُكّةً فأدَمَتْهُ ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول.

ثم قال: ائذن لعشرة.

فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا.

ثم قال: ائذن لعشرة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا.
ثم قال ائذن لعشرة...
فأكل القومُ كلهم وشبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلاً[1].

فانظر إلى موقور عقلها عندما تقبلت وفود العدد الكبير من الضيفان وليس عندهم شيء يطعمون به الناس بأن قالت: الله ورسوله أعلم.

★ ★ ★

ولأم سُلَيْم منزلة عالية عند النبي ﷺ فلقد كان يخصُّها بالزيارة وجعل دارها مقيلاً له ونزلاً لمارية القبطية.

وخصَّها في حجة الوداع بأن أعطاها شطر شعر رأسه الذي حلقه.

فعن أنس أن رسول الله ﷺ أتى مِنى، فأتى

---

(١) البخاري: ٦١ ـ كتاب المناقب: ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم: ٣٦ ـ كتاب الأشربة. ٢٠ ـ باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر... ثم قال للحلاق: خذ وأشار بيده إلى الجانب الأيمن، فحلقه، وصار يقسم شعره بين من يليه. ثم أشار إلى الجانب الأيسر، فحلقه، فأعطاه أم سُلَيْم[1].

★ ★ ★

كانت عند أم سُلَيْم يتيمةٌ. فرآها رسول الله ﷺ مرة، فداعبها قائلاً: - أنت هي؟ لقد كبرتِ، لا كبر سنُّكِ، فرجعت اليتيمةُ إلى أم سُلَيْم تبكي.

- فقالت أم سُلَيْم: مالك يا بُنَيَّةُ؟

قالت الجارية: دعا عليَّ نبيُّ اللهِ ﷺ أن لا يكبرَ سني أبداً.

فخرجت أم سُلَيْم مستعجلة تلوثُ خمارها حتى لقيتْ رسولَ الله ﷺ.

- فقال لها رسولُ الله ﷺ: مالك يا أمَّ سُلَيْم؟

- فقالت: يا نبيَّ الله أدعوتَ على يتيمتي؟

- قال: وما ذاك يا أم سُلَيْم؟

---

(١) مسلم وغيره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- قالت: زعمتْ أنك دعوتَ أن لا يكبر سنُّها.

فضحكَ النبيُّ ﷺ، وكأني به ضحكَ لأن الدعابة أثّرت على اليتيمةِ الصغيرة وعلى أم سُلَيْم الكبيرة التي جاءت مستعجلةٍ تتبيّن الأمرَ.

ثم قال ﷺ: يا أم سُلَيْم أما تعلمينَ أنّ شرطي على ربي أني اشترطتُ فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضبُ كما يغضبُ البشر، فأيما أحدٌ دعوتُ عليه من أمتي بدعوةٍ ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاةً وقربةً يقربه بها منه يوم القيامة.

فسري عن أم سُلَيْم وفرحت ليتيمتِها بهذا الخيرِ الذي أتيح لها.

★ ★ ★

وإنّ نظرةً سريعةً في سيرةِ أخَوَيْها وأُختِها لتقودُنا إلى أنْ نقررَ أنّ هذه الأسرةَ أسرةٌ كريمةٌ كانتْ وفيةً للمُثُلِ التي تؤمنُ بها، باذلةً من أجلِها الغاليَ والثمينَ.

فأخواها سُلَيْمٌ وحرامٌ شَهِدَا بدراً وأُحُداً، واستُشهدا يومَ بئرِ معونة، فقد أتى رجلٌ حراماً من



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلفهِ فطعنَهُ برمح حتى أنفذَه. فقال حرام:

فزتُ وربِّ الكعبة، واستشهد أيضاً سُلَيْمٌ حقاً لقد فازا وظَفِرا بالشهادةِ وإنَّ ذلك لهو الفوزُ العظيمُ.

وأُختُها أمُّ حرامٍ طلبتْ من رسول اللهِ ﷺ أن يَدْعوَ لها أن تكونَ من المجاهدينَ الذين يركبونَ البحرَ. فاستجابَ اللهُ دعاءَهُ، وركبتِ البحرَ واستُشهدتْ في غزوةِ قُبْرُس.

قال أنس:

كانَ رسولُ الله ﷺ إذا ذهبَ إلى قُباء يدخلُ على أُمِّ حرامٍ بنتِ ملحانَ فَتُطْعِمُهُ، وكانتْ أمُّ حرامٍ زوجةَ عُبَادةَ بنِ الصامتِ، فَدَخَل عليها رسولُ اللهِ ﷺ يوماً، فأطعمتْهُ... ونامَ رسولُ الله ﷺ... ثم استيقظَ وهو يضحكُ،

فقالتْ أمُّ حرامٍ: ما يُضحككَ يا رسولَ اللهِ؟

قال: «ناسٌ من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ الله، يركبونَ ثَبَجَ هذا البحر مِثْلَ الملوكِ على الأسرّة».



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالتْ أمُّ حرام: يا رسول الله ادعُ اللهَ لي أن يجعلَني منهم.

فدعا لها، ثُمَّ وضَعَ رأسَهُ فنامَ، ثم استيقظَ يضحكُ.

فقالتْ أُمُّ حرام: يا رسولَ اللهِ ما يضحكك؟

فقال: «ناسٌ من أمتي عُرِضُوا عليَّ غزاةً في سبيلِ اللهِ مثل الملوك على الاسرةِ».

فقالت: يا رسولَ اللهِ ادعُ الله ان يجعلني منهم.

فقال: أنتِ من الأولينَ.

فخرجتْ مع زوجها عبادةَ بنِ الصامتِ، فلمّا جازَ البحرَ ركبتْ دابةً فصرعتْها فقتلتْها، وكانتْ تلكَ الغزوةُ غزوةَ قُبْرس فَدُفِنَتْ فيها، وكانَ أميرُ ذلك الجيش معاوية بنَ أبي سفيان في خلافةِ عثمانَ رضيَ اللهم عنهم[1].

★ ★ ★

(١) الحديث في صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك وغيرها



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أجل ذلكَ فلا نستغربْ ترددَ الرسول ﷺ على بيوتِ هذه الأسرةِ.

فَقَدْ كانَ ﷺ - كما يقول أنس - يزورُ أمَّ سُلَيْم، فتتحفه بالشيءِ تصنعه لَه. وكان لا يدخلُ على أحدٍ من النساءِ إلاّ عَلَى أزواجه إلاّ أمَّ سُلَيْم[1]. فقيل له في ذلك. فقال: إنّي أرحمُها قُتِلَ أخُوها معي[2].

ومن أجل ذلك فلا نستغربْ اختيارَهُ دارَها ليكونَ نُزُلاً لماريةَ القبطية وأختها، فقد أنزلهما على أم سُلَيْمٍ بنتِ ملحان عندما أهداهما إليه المقوقس، فدخلَ عليهما رسول الله ﷺ فَعَرَض عليهما الإسلامَ، فأسلمَتا، فتسرّى بمارية.

★ ★ ★

وبعد فلقد بقيتْ أمُّ سُلَيْمٍ الأنصاريةُ مثالاً للصبرِ

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» ١٠/١٦: [كانت أُمُّ سُلَيم وأم حرام خالتين لرسول الله ﷺ محرمَين إما من الرضاع وإما من النسب، فتحل له الخلوة بهما].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشجاعةِ والحزمِ، والحكمةِ، والرزانةِ وسدادِ الرأي وبُعْد النظرِ على مرِّ العصورِ.

وبقيتْ مثالاً للزوجةِ الصالحةِ الوفيّةِ الناصحةِ والأمّ المربيةِ الفاضلةِ.

رضي الله عنها وأرضاها

والحمد لله رب العالمين.

وَكَتَبه

في ٩ رجب سنة ١٣٩٩ هـ. محمد بن لطفي الصباغ



شبكة الألوكة - قسم الكتب